

رهانات علم الكلام بين اللاهوت والسياسة

أ.د. عامر عبد زيد الوائلي / العراق

إن البحث في علم الكلام يعني البحث في تاريخية تطور العقل في الإسلام فعلم الكلام مرتين إلى تاريخية المجتمع والنظام الثقافي الديني وأثره على المجتمع بمعنى أن علم الكلام هو علم يمارس البحث ضمن حدود رهانات المجتمع الإسلامي ضمن قتره معينة مما يجعل من تأملاته رهينة تلك الحقبة التاريخية أي إن البحث في هذا الحقل من العلوم الإسلامية ليس متعالي على التاريخ وبالتالي تصبح مقولات ضمن رهانات تلك التاريخية وهذا يعني أن نتعامل معه بوصفه فكر ديني تاريخي أصبح يعبر عن تلك الحقبة وما افترضته من مشاكل ومحاولة علماءه إن يجدوا معالجات لها.

وبالتالي فإن العلم ليس متعالي على بيئة وليس منقطع الصلة بالفكر العالمي بزمانه فهود دخل في مرحلة النشأة في حوارات مع اللاهوت تأثر به وأعاد تبيئة مقولاته بما يستجيب إلى تحدياته وإشكالاته الداخلية .

أن هذا العلم في بدايته كان جزء من الصراع السياسي والاجتماعي على الشرعية الدينية التي كان كل طرف يسعى من أجل حيازتها بوصفها الرأسمال الرمزي الذي يضفي على مطالبه الشرعية .

وهذا يصل بنا إلى تبيان أطروحتنا - في هذا البحث - والتي تقوم على فرضية قوامها إن علم الكلام علم ارتبط بالواقع التاريخي الذي كان حاكما في تلك الفترة من تاريخ الإسلام وبالتالي كل ما جاء به مرتبط بتلك الظروف من التاريخ وهو يمثل استجابة العلماء لما كان يواجه الإسلام من تحديات مما يجعل من نظرياته مثلها هي جزء من الماضي نخبرة ورأسمال رمزي وجهد علماء ذلك الزمان لكنه من ناحية أخرى ليس بالضرورة جزء من الواقع اليوم مما يجعل من مقولاته ليس متعالية على

الزمن بل ضمن حدود الزمن مرتبهة له ، وبالتالي أي محاولة من اجل نقل المقولات وجعلها متعالية على الزمن ليس جهد موضوعي وعلمي .
فإذا كانت أطروحتنا تمثل بالتاريخية فان الأطروحة محل النقد هي متمثلة بتعالى المقولات الكلامية على الزمن ومحاولة إحيائها اليوم وجعلها تعبير عن الهوية الإسلامية ليس أمر ممكن .

فمقولات علم الكلام الجديد ⁽¹⁾ هي محاولة جديدة من اجل إحياء العلم لكن من خلال انفتاحه على الواقع الجديد تداولاً للمشكلات وبحثاً للحلول بالانفتاح على اللاهوت الجديد وفلسفة الدين وعلم الدين وحقول أخرى كثيرة ممكن تزويد علم الكلام الجديد بالآليات و الأسلوب في إيجاد حلول ومعالجات جديدة تخلق مفاهيم وأفكار تستجيب إلى الواقع الذي نعيش داخل والذي يعيش اغتراباً عن قيم الحداثة والمعاصرة .

بنفس الوقت نجد ان علم الكلام كان يقدم تصوره المذهبي على الوقائع العامة (ويشكلون المسارات الخاصة في التاريخ على المسارات العامة، ثم يفسرون الرجالات وفق معاييرهم في التصحيح والتفسيق والتكفير، إن لم نقل موضع النقض، وغدت مصادر الآخرين مصادر عند الآخرين فقط ، وحقائق الآخرين حقائقهم دون غيرهم) ⁽²⁾

في هذا البحث حاولنا إن نقدم توصيف إلى حقبة معينة من تاريخ علم الكلام أنها النشاء أو ما يعرف بالفكر القدري الذي جاء استجابة للتحدي الذي فرضته السلطة الأموية يوم فرضت الجبر بوصفه الحل وطالبة الآخرين تقبله كمسوغ لهيمنة على الواقع الإسلامي يومها معتمدة وسائل متنوعة بين الترغيب بالغنيمة والترهيب بالقوة والتكفير باعتماد العقيدة وفق توظيف فقهاء السلطان وقتها .

¹ من اجل متابعة هذا المفهوم انظر كل من : عبد الجبار الرفاعي ، علم الكلام الجديد وفلسفة الدين ، دار الهادي ط2، بيروت ، 2008. وانظر : مصطفى مليكان ، الشوق والهجران ، ت: احمد القابنجي ، دار الفكر الجديد ، النجف الاشرف .

² حسن سلهب ، علم الكلام والتاريخ ، مركز الكلام لتنمية الفكر الإسلامي ، ط1 4، بيروت ، 2011، ص41..

وعلى هذا الأساس حاولنا في هذا المبحث إن نقدم توصيف إلى أطروحتنا أي تاريخية علم الكلام وبالتالي نسبته واختلاف رهاناته يومها عنها اليوم . وعلى هذا الأساس سارت معالجتنا وفق المسارات ونتائج دراسات معاصره لها بصماتها اعتمدنا في هذا البحث كمنطلقات توزعت على ثلاث مسارات الأول يحاول تقديم توصيف للاهوتي فيما الثاني كان يحاول دراسة السلطة السياسية وما فرضته من قناعة واليات في قصر تفكر المعارضين لها .

ثم جاء المسار الأخير تبيان الجهود الكلامية لدى أهل القدر في تقديمهم للفكر السائد وخصوصا أهل السلطة أي الجبر وتعريت المسبقات التي انطلقت منها أطروحة الجبر وتقديم بديل أكثر إنسية يحترم إنسية الإنسان ويعمق من دورة في مواجهة السلطة ويسعى إلى تعرية مواقفها ومنطلقاتها .

هنا نود إن نبين تلك العلاقة بين اللاهوت والسياسة بوصفها أصل فاعل في استثمار الصراع الديني ، ونأخذ مثال الجبرية الأموية والقدرية وهي ما تعرف بالجبر والحرية داخل مهيمنة الجبر الأموي ، هنا لابد من التأسيس إلى البعد اللاهوتي أولا ثم الوقوف عند التوظيف السياسي ثانيا أولا لاهوتيا يظهر أن الجبر عميق في الميراث القديم للمنطقة

أولا : البعد اللاهوتي :

منها إن الإنسان في بابل أو مصر أو كنعان كان يعتقد إن السماء تشرف إشراف مباشر على الأرض وإنها متحكمه بها ولعل قصة الخليفة البابلية هي خير مثال لما نبدأ الحديث عنه كيف قررت الإله إبادة البشر يوم أصبحوا مثيرون للاضطراب والإزعاج ⁽³⁾ الذي نريد تأكيده أن الإنسان القديم في الشرق الأوسط كان يؤمن فطريا بهيمنة الغيب أو الإلهة على مصيره بشكل جبري ولعل هذا واضح في حوارية المعذب البابلي ⁽⁴⁾ لهذا كان يعتقد الإنسان القديم إن الإلهة هي من رسم مصيره

³ انظر : جورج بو ، العراق القديم ، ت: حسين علوان حسين ، بغداد 1984 . وانظر : عامر عبد زيد ، المخيال السياسي في العراق القديم ، دار بنابيع ، ط1 ، دمشق ، 2010 ، 2810283 .
⁴ انظر : جورج بوييه شمار ، المسؤولية الجزائية في الاداب الاشورية والبابلية ، ت: سليم الصويص ، دار الرشيد ، بغداد ، 1981 ، ص103 .

وان الحكام هم ممثلين للإلهة بين البشر وممثلين للبشر في السماء فهي معينية بإرادة سماوية ويتلقون تعاليم السماء ولعل هذا يظهر في تسلم حمورابي الشريعة من السماء ممثلة بالإله شمش ، انطرقا من هذه الرؤية فالملك هو تعين سماوي و لا يمكن الاعتراض عليه أو الخروج عليه لأنه ممثل لتلك الإرادة لهذا لم يجد الإنسان القديم إمكانية التمرد بل عليه إن يتوجه إلى السماء من أجل إن تغير من سلوك الملك فهي صاحبة الشأن لهذا ظهر وتطور الجبر في الفكر الأسطوري القديم .⁽⁵⁾

إلى جانب هذا الجذر هناك أمر آخر يتمثل بنمو ديانات التوحيد الثلاث وتناولها السلطة المطلقة وتبيان أوجه الاتصال بها وصفاتها وعلاقتها وهي تعتمد ميراث عميق في المنطقة كان يمثل مرجعية مهمة في هذا الأمر ومن هنا ظهر اللاهوت اليهودي ومن ثم اللاهوت المسيحي .

في التصور اليهودي يشير سبينوزا إلى هذا إلى في تأكيد ثلاث سمات طبعة اللاهوت اليهودي بالمقارنة مع التعدد السابق له حيث حل التوحيد محل التفريد البابلي⁽⁶⁾ إذ يظهر التوحيد التوراتي في التعالي اللاهوت بالإشكال الآتية :
أولاً: يشير سبينوزا إلى : إذا أردنا أن نفسر عبارات موسى دون فكرة مسبقة لا يتضح لنا تماماً أنه يتصور الله موجوداً على الدوام في الماضي والحاضر والمستقبل ؛ ولذلك يسميه يهوه وهي كلمة تدل في العبرية على أصول الزمان الثلاثة هذه.⁽⁷⁾
ولم يذكر موسى شيئاً عن طبيعة الله سوى أنه رحيم لطيف .. إلخ وغير جدا ، كما يتضح في نصوص عديدة في الإسفار الخمسة .

ثانياً : لقد اعتقد وأعلن أن هذا الموجود مختلف عن سائر الموجودات إلى حد أنه لا يمكن التعبير عنه بأية صورة أو شيء حسي ، بعيد عن الإبصار لضعف الإنسان لا لتناقض تنطوي عليه مثل هذه الرؤيا .

⁵ انظر : محمد عابد الجابري ، نحن والتراث . دار الطليعة ، بيروت .

⁶ التفريد البابلي :

* يختلف علماء اللغة العبرية في أصل كلمة يهوه فيضن البعض أنها ترجع إلى المعنى الظاهر لابل المعنى الانطولوجي وتقيد هذه الصيغة الماضي الناقص والمستقبل في آن واحد . ويرى البعض الآخر أن يهوه مشتقة أيضاً من فعل الكينونة بمعناه الانطولوجي لا بمعناه الظاهر وبذلك معناه يكون أنا الموجود الذي يوجد وهو الصوت الذي سمعه موسى وكاهن مدين الخروج 3 : 1 ، 4 : 18 .

ثالثاً: نادى موسى بأن ذا الموجود قد أخرج ذا العالم المرئي من العماء وأقام فيه النظام ووضع في الطبيعة بذور الأشياء وبذلك يكون له على الأشياء جميعاً حق مطلق وسيطرة كاملة (7)

يظهر هنا أن اله في التوراة كان إميل إلى اللاهوت منه إلى الناسوت بالمقابل وظهور تيارات متنوعة تخوض في شخصية المسيح منها ما هو معترف به ومنها ما هو مجال نظر ونفي لقد حاولت الدولة محاربة الهرطقات (8) وتبني رؤية تسمى بالمذهب " المونوثيلية" وهو مذهب يراد منه احتكار الحقيقة أو ((إنهاء النزاع العقائدي المير بين الكنائس ، ورأب التشطي المذهبي الذي أدى اشتداده إلى الفرقة بين أتباع الكراسي الكنسية ، وأدى بالتالي إلى اهتزاز الكرسي الإمبراطوري ((9) فجاءت الرؤية اللاهوتية الجديدة التي تم توظيفها سياسياً حتى توسع نفوذ الحاكم السياسي الذي اجتهد في فرضها مما أحدث عنف كبير بحق المخالفين لكن الأمر اللاهوتي هنا هو المهم إذ يقوم التنظير اللاهوتي على ((تركيز النظر على النظر على نقطة واحدة ، هي أن (الله) له مشيئة أو إرادة واحدة ، وبالتالي فإن له (تعالى) فعلاً واحداً لإنفاذ هذه المشيئة ، وتنفيذ هذه الإرادة .وهو الأمر الذي يقود فلسفياً بالضرورة ، إلى الاعتقاد بالجبرية المطلقة وإلى القول بمحدودية الحرية الإنسانية .وهو ما سوف يصير مطروحاً بقوة ، بعد بضعة عقود من الزمن ، أمام أئمة المسلمين وآباء المتكلمين الذين توزعت مواقفهم الفكرية بين قطبين متعارضين : الحرية (مذهب القدريّة) (10) والجبرية ((11) هكذا فإن بنية الجبر عميقة في البنية الذهنية للمنطقة سواء كان هذا في الماضي البعيد أو في ظل اللاهوت

⁷اسبينوزا رسالة في اللاهوت والسياسة ،ت:حسن حنفي ، دار التنوير ، ط1 ، بيروت ، 2005 ، ص155-156.

⁸ في هذا المجال ممكن العودة إلى : ج.ويتلر : الهرطقة في المسيحية تاريخ البدع والفرق الدينية المسيحية ، ت: جمال سالم ، دار تنوير ط2، بيروت ، 2010.

⁹يوسف زيدان ، اللاهوت العربي وأصول العنف الديني ، دار الشروق - ط3، القاهرة ، 2010 ، ص130.
¹⁰يرى النشار أن هؤلاء "القدريين" الأوائل ، هم أصحاب مذهب الإرادة الحرة في الإسلام .انظر : النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، ج1، ص314. بواسطة : احمد خواجه : الله والإنسان في الفكر العربي والإسلامي ، منشورات عويدات ، ط1، بيروت ، 1883، ص85.

¹¹يوسف زيدان ، اللاهوت العربي وأصول العنف الديني ، ص130.

المسيحي إذ كان للعرب من المسيحيين مواقف مختلف عما عليه غيرهم فهم وان كانوا خارج الخطاب المركزي إلا أنهم مهدوا إلى علم الكلام الإسلامي نتيجة التقارب الفكري إذ ((كان العراق والجزيرة ،إذن بلاد الهراطقة نظروا إلى أنفسهم على أنهم أهل الإيمان الصحيح ، وأن مخالفهم هم الذين ضلوا وهرطقوا حين زعموا أن الله ثالث ثلاثة وان الله (تعالى) هو المسيح عيسى ابن مريم . أما مصر والحبشة وأطراف اليمن ، فقد بقيت على إيمانها الأثوذكسي (القبطي) المختلف مع ، وعن ، بقية الأرثوذكس .))⁽¹²⁾

لقد جاء القرآن الكريم بتصور مفارق عما عليه التوراة وعما عليه الإنجيل إذ وجدنا في التوراة هيمنة الجانب البشري في تصوير الله كما في صراعه مع إسرائيل وما نتج عنه من الوعد، ومختلف عن الإنجيل والتعبير عن التثليث والقول بإلهية المسيح لقد جاء القرآن الكريم مختلف عنهما ((لقد استطع الله بقوة في القرآن الكريم ،حتى لا يكاد اسمه (تعالى) يغيب عن سطر واحد ، ولا يكاد حضوره يفارق أي معنى من المعاني القرآنية . وبذلك عاد (اللاهوت) إلى صدارة المعتقد الديني ، وسطعت شمس الله بقوة في النص القرآني . ومن جهة أخرى ،توارى (الناسوت) فلم يعد مطروحا كأصل إيماني))⁽¹³⁾

ان ملام الاختلاف بين الخطابين انه في اللاهوت يطغي الناسوت فيما في الخطاب الثاني يطغي اللاهوت على الناسوت .إلا إن هذا الأمر يؤكد ، كان هذا اللاهوت تأثير عميق في علم الكلام الإسلامي الذي يبحث في الذات الله تعالى وصفاته وأحوال الممكنات من المبدأ والمعاد .مع إثبات العقائد الدينية ،بإيراد الحجج عليها ،ودفع الشبهة عنها ،والرد على المنحرفين في الاعتقادات .

ثانيا : البعد السياسي

لا شكل إن العامل السياسي كان عامل فاعل اذ كان يحاول ان يستثمر البنية الذهنية والموروث اللاهوتي في إسباغ الشرعية على الذات في صراعها مع خصومها

¹²ن،م،ص134.

¹³يوسف زيدان ، اللاهوت العربي وأصول العنف الديني ، 145.

على السلطة والعامل الدين عامل فاعل بل مهيمنة في تسويغ الشرعية السياسية وإسباغ البعد العقائدي على المتصارعين وكان الأمر لا يتعلق بالأرض وبعده الناسوتي بل أن الأمر أخذاً منحى للاهوتي وهنا بدء الصراع العقائدي وتركت السياسة أثراً عميقة لما هو يومي حيث تم تأييده من خلال تحويل إلى بعد عقائدي كوني .

على هذا الأساس ممكن أن نلمس أن هناك مشروع سياسي متنوع الإعراض مشروع السلطة ومشاريع معارضة له تحاول كل منها إن تقدم توصيف كلامي لاهوتي يعبر عن معارضتها وتحاول تجريد السلطة من أي شرعية مثلما تفعل السلطة مع المعارضين فظهرت قراءات كلامية متنوعة متصارعة فيما بينها ، في تأخذاً بعداً (قبلي) مقابل القبائل العربية الأخرى المتنافسة مع قريش متمثلة بأهل الشرق ربيعهم وأهل الجنوب اليمن ظهر الأمر جلياً إثناء حروب الردة وتصبح القبيل قريش صاحبة السيادة على باقي القبائل من ناحية وسيادة العرب على الموالي ممن لم يدخلوا الجيش واكتفوا بالوظائف الخدمية يقابل هذا (الغنيمة) التي كانت معيار إشغال العرب بالفتوحات ومصدر العطاء الذي تقدمه السلطة لمن يطيعها يقابل كل هذا (العقيدة) وهي تدخلنا في الصراع على الرأسمال الرمزي الدين الذي أصبح محل تأويلات متنوعة لدى السنة والخوارج والشيعة لكل منهما له قراءته اللاهوتية نجد إن العلاقة بين السلطة والمعرفة ترتبط إلى حد بعيد بتحول تلك المعارضة من افقه النظري إلى العملي (لم يكن الأمويون ، بمن فيهم معاوية ، في الفتك بإفراد وهذه النخبة الدينية والفكرية إذا انتقلوا بمعارضتهم من (القول) إلى (العمل) أو ظهر سلوكهم ما يهدد)⁽¹⁴⁾

طبعاً محاولة الدولة الأموية انتهج ممارسات العنف ضد المعارضين بإشكال متنوعة من القسوة إما الشكل الآخر فهي قد أقامت قراءة سياسية تقوم على التفرقة بين القبائل العربية باعتماد وسائل متنوعة من أجل إخضاعها إلى سيطرة قريش

¹⁴ محمد عابد الجابري ، العقل السياسي العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط4، بيروت ، 2000 ، ص240

وخصوصا الأمويون منها استثمار العنف أو الغنيمة حتى ظهر تيار جديد خارج القبيلة أنهم الموالي فجاءت عقيدة التجبر التي اعتمدتها السلطة كوسيلة من تبرير هيمنتها على السلطة وهي رؤية تنتمي إلى اللاهوت القديم الذي استقر في البنية الذهنية وتجل في الحاكمة والجبر فالجبر ينتمي في بنيته العميقة إلى ذهنية القبيل بالأساس (فالفرد في "القبيلة" ويتصور انه مسؤول كفرد يفعل لسبب بسيط هو انه يصدر في أفعاله عن مخيال "القبيلة" إنه يصدر إذن في نشاطه الاجتماعي / السياسي خاصة عن "قهر" اجتماعي ، عن جبرية قبلية تمنه من تصور إنه كان بإمكانه إن يفعل غير ما فعل .إنه لا ينسب فشله إلى نفسه ولا إلى القبيلة ككل معناه سقوط رموزه واختراق مخياله وانهيار عالمه وكما يحدث دائماً فإن السبيل الوحيد للتخلص من الشعور بالفشل هو التعالي به ، هو نسبه إلى الدهر والأيام والقدر .) (15)

هذا التفسير النفسي الاجتماعي يمكن ربطه بما سبق في البنية الذهنية للمنطقة وهيمنة الغيب على تسير مقدراتها ، من هنا جاءت قراءات السلطة في تسويق أفعاله الإرهابية بحق الخصوم بأنها مجبرة بفعل الإرادة الإلهية وبهذا تكل إضلاع المثلث :القبيلة ، والغنيمة ، والعقيدة ، فقد استثمارها الأمويون وخصوصا معاوية بشكل فعال وسار على نهجه خلفائه من بعده ،(كان الأمويون يقولون ، إن الله ساق إليهم الخلفاء بسابق علمه وقضاء وقدرًا ، أي أنه كان يعلم منذ الأزل أنهم سيستولون على الحكم ، وعلم الله نافذ ، فيكون الله هو الذي حتم عليهم أن يقاتلوا على الخلافة وأن يرتكبوا ما ارتكبوه من الأعمال ، لان ذلك كله قد جرى "سابق علمه") (16) يظهر هنا ان هناك من المثقفين الذين يبررون خطاب الجبر يوظفون مقولة العلم الإلهي من اجل تبرير العنف الذي كانت ترتكبه السلطة بحق المخالفين لها .

¹⁵ نفس المصدر ، ص 260.

¹⁶ ن،م، ص 320.

وقد كانت السلطة تعتمد إشكال متنوعة من احتواء المعارضون لها إذ يقول معاوية:
(لا ضع سيفي حيث يكفيني سوطي ، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني ،
ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت . قيل وكيف ذلك ؟ قال : إذا مدوها
خليتها وإذا خلوها مددتها) (17)

رغم إن هذا التصور مرتبط بالبيئة القبلية التي كان يتمتع بها زعيم العشيرة داخل
البادية إذ في عهد بني أمية كان وضع الخليفة لا يختلف في جوهره عن وضع شيخ
القبيلة ، يحظى باحترام الناس ولكن دون إن يظهر بمظهر من التقديس يستقبل
الخاص والعام ، ولم يكن يتميز عن الشيوخ في الآخرين إلا بالحنكة وهي هنا إتقان
ممارسة السياسة في كل من القبيلة والغنيمة والعقيدة عبر معاوية عن ذلك بقوله في
خطبة بالمدينة : "فإن لم تجدوني خيركم فإني خيركم ولاية " (18) رغم انه مارس
توظيف التراث الديني من اجل إسباغ القداسة على سلوكه من ذكر الأحاديث إلى
تشير إلى كرامته وبالمقابل الأخرى التي تعارضها إلا إن سياسته في جوهرها مختلفة
عما سوف تكون عليه السياسة العباسية في ظل الإحكام السلطانية ، لكنها لا تخفي
مفهوم الترويض أو من هنا معنى السياسة في اللغة ، لكن رغم نسبيته إلا أنها
أخذا طابعا جبريا كوني يطغي به البعد اللاهوتي الجبري على حساب ما هو ناسوتي
بشري من حرية في الاختيار وكأنها أرادت إن تسبغ الثبات على الترابية في السلطة
التأييد اللاهوتي وتبين التحول الذي أصاب الملك مع الاموين حيث انفصال بين
العلم والسلطة إذ أصبح معاوية لا يكن بسام كونه صحابي ولا كون من أهل للعلم
بل بوصفه أمير وهذا يظهر جلي بالقول السابق له في مدينة العلم مدينة الرسول ،
إلا إن السلطة الأموية مارست تدوين الذاكرة الجمعية للإسلام وعادة ترويض
العلماء بما يتواءم مع ما تريد في حربها على الخصوم الذين ينازعونها على الشرعية في
الحكم باسم الإسلام . (وهكذا حكم معاوية باسم "القبيلة " وليس باسم " العقيدة "

¹⁷ ن،م، ص 237، وانظر: أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري بن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج1، المؤسسة
المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، 1963، 9.
¹⁸ ن،م، ص 334؟

فانفصل في شخصه "الأمير" عن "العالم" وامتد ذلك إلى أجهزة الدولة فصار "الأمراء" فريقاً و"العلماء" فريقاً آخر. هذا في القمة أما في القاعدة التي كانت تؤطرها "القبيلة" فقد انقسمت زمن الفتنة إلى معسكرين: معسكر قریش ، ومعسكر "العرب" (من اليمن وربيعة) وعلى رأسه علي ع ، وبينهما أفراد وجماعات قررت اعتزال الفتنة ، وبانتصار معاوية صارت القبائل التي قاتلت معه أو انضمت إليه هي وحدها "الجند" ، وقد بلغ تعدادهم ستين ألفاً ، أما المجموعات التي قاتلت ضده فقد أصبحت هي والتي كانت مترددة أو معترلة ، أصبحت (رعية) . وهكذا انقسمت (القاعدة) بدورها إلى جند ورعية .⁽¹⁹⁾

يبدو إن انقسام المسلمين إلى أهل سلطة وحول وطول ولهم الغنيمة وآخرون مجرد رعية خاضعة إلى أمر السلطان هنا جاءت مقولة الجبر من أجل تحويل هذا الوضع التاريخي في الصراع إلى كونه أمر كوني لاهوتي تجلي إلى علم الله وإرادته وعليهم إن يتقبلونه كأمر مفارق غيبي . أو بحسب مقولة السلفية الخروج يعني الفتنة وخروج على ولي الأمر .

كذا قام أهل العلم بتبرير الأمر الواقع واعتبار أي خروج قرين الكفر والهرطقة وبالمقابل بذلت السلطة العطاء لعلمائها . ولم (يتردد الأمويون ، بمن فيهم معاوية ، في الفتك بأفراد هذه النخبة الدينية والفكرية إذا هم انتقلوا بمعارضتهم من "القول" إلى "العمل" أو ظهر من سلوكهم ما يهدد بذلك)⁽²⁰⁾

هنا يظهر بوضوح الظروف التاريخية التي كانت تحكم الواقع السياسي الذي شكل محرض تاريخي من أجل ظهور علم الكلام والظروف التي شكلت تحديات وممارست ضغوطها على تكلموا الإسلام والفقهاء بين معارض أو مؤيد للسلطة والنتائج التي كانت وراء تلك الأفكار والمصير الذي وصل إليه هؤلاء المتكلمون بأفكارهم يوم كانوا يجمعون بين القول والعمل وكيف كانت السلطة بما مارسه من قسوة مؤثر في انفصال الفكر النظري عن الواقع العملي لدى علم الكلام .

¹⁹ ن،م،ص، 235.

²⁰ ن،م،ص، 2240.